هوامش

ليست مقابر السبع ملل، الواقعة في الإسكندرية، كغيرها من المقابر، بل تحتل صدارة الأماكن الأثرية الأكثر شهرة في المدينة الساحلية، فهي أشبه بمتحف ضخم يضمّ رفات جاليات وطوائف مختلفة

مقابر عائلة باسيلي باشا (العربي الجديد)

مقابر السبع ملل

أضخم متحف أثري وتاريخي في مصر

الإسكندرية ـ **أحمد عبده**

في قلب مدينة الإسكندرية، شمالي مصر، تنبض حكاية مليئة بالحياة والتاريخ، تروي جانباً عن تاريخ المدينة الساحلية وثقافات وجنسيات متعددة، شكّلت يوماً ما جزءاً لا يستهان به من التاريخ المصري القديم. إنها مقابر «السبع ملل» أو مقابر اللاتين، وهي أشبه بمتحف ضخم. وتعد واحدة من أبرز وأشهر المقابر في مصر، إذ يزيد عمرها عن 150 عاماً، وتضم رفاتاً من غالبية جنسيات العالم، وتتميز بجمالها الباهر، وروعة تصميمها، وهي مشابهة إلى حد كبير لمدن الأساطير والأحلام المثقلة بالتاريخ، مثل مدينة أثينا القديمة.

وتحتل المقابر التي تقع في منطقة باب شرقي وسط الإسكندرية صدارة الأماكن الأثرية الأكثر شهرة في المدينة الساحلية، وتجذب انتباه الزوار والمهتمين بالتاريخ والثقافة بتصميمها الرائع والمُعَمَّر، وزخارفها المعمارية الفريدة التي تُسلّط الضوء على تقاليد وعادات ومعتقدات الشخصيات المدفونة فيها. ويقول مدير آثار الإسكندرية، محمد متولي، لـ«العربي الجديد»، إن هذه المقابر سُمّيت بهذا الاسم كونها تحوي بين طياتها مسيحيين من الكاثوليك واللاتين والموارنة والسريان والكلدان والروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس. وتعرف بـ«مقابر اللاتين» لضمها رفات أبناء الجالية اليونانية الذين عاشوا في الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ويشير متولي إلى أن تاريخ نشأتها يرجع إلى عهد حاكم مصر محمد علي باشا (1805م - 1848م)، والذي منح مساحة 5 أفدنة للأجانب والمصريين المسيحيين واليهود، لإنشاء مقابر لهم، وكان ذلك الموقع الجغرافي وقتئذ خارج حدود المدينة من الجهة الشرقية، قبل أن تتغير الطبيعة الجغرافية للإسكندرية، وتتحول المقابر إلى موقع في منتصف المدينة. ويؤكد متولي أن محمد علي كان حريصاً وقتها على أن تُمثل تلك المقابر لوحة فنية تشهد على تراث إنساني عالمي كبير، ليثبت أن مصر هي البوتقة التي تنصهر فيها كل الجنسيات والأديان والمذاهب، وهو ما تحول مع مرور الزمن إلى ما يشبه متحفاً مفتوحاً عريقاً.

بدوره، يؤكد عضو اللجنة الدائمة لحماية الآثار الأسبق وخبير الآثار أحمد عبد الفتاح، لـ«العربي الجديد»، أن المقابر تقدم صورة حية للحياة التي عاشها الآلاف من أبناء الجاليات الأجنبية الذين عاشوا في المدينة الساحلية، وتركوا تراثاً لا يمحوه الزمن. وتضم أكثر من 5 آلاف عين، كل منها يوجد بها رفات ميت، وعليها 2200 شاهد قبر، مشيراً إلى أن المقابر تتنوع بين مدافن خاصة لعائلات، وأخرى عبارة عن شواهد قبور منفردة لأشخاص مكتوبة باللغة اليونانية، وهناك شواهد مكتوبة باللغة العربية، وأخرى مكتوبة باللغة الفرنسية.

ويوضح في حديثه لـ«العربي الجديد» أن «شواهد المقابر أو المدافن تحمل نقوشاً وصوراً ورسومات خاصة بالطوائف المختلفة، مثل الطائفة الكاثوليكية المنتمية للفاتيكان، واليونان الأرثوذكس، واللاتين، والروم الكاثوليك، واليهود، والمسيحيين المصريين وغيرهم، فضلاً عن تماثيل منحوتة بدقة وبراعة تجسد تاريخ مجتمع الإسكندرية العالمي، وتحفظ تاريخ عائلات وأسماء ساهمت في بناء مصر الحديثة».

ويشير إلى أنه من بين الجثامين المدفونة في مقابر السبع ملل، جوزيبي بوتي، وهو مؤسس المتحف اليوناني الروماني، الذي كان رئيساً لهيئة الآثار المصرية في عام 1904؛ والمهندس دنتامارو، وهو المصمم الأول لكورنيش الإسكندرية، والمهندس فليبو بيني، وهو صاحب أقدم عقار في شارع فؤاد بوسط المدينة وهو الشارع الأقدم في العالم. يضاف إلى ما سبق عائلات منشا باشا، وباسيلي باشا، والمخرج العالمي يوسف شاهين، إلى جانب رفات مسيحيين مصريين وجاليات أجنبية، وخصوصاً الفرنسيين والإيطاليين. ويطالب عبد الفتاح وزارة السياحة بوضع مقابر السبع ملل على الخريطة السياحية وفتحها للزيارة، وخصوصاً أن عدداً كبيراً من المصريين والأجانب يتسابقون على زيارتها، رغم القيود القانونية للحصول على التصاريح اللازمة، بالتنسيق مع الجهات المختصة لجمالها المعماري والتاريخي، وكونها مكاناً للتأمل والروحانية يمكّن الزوار من الاسترخاء والتأمل في السكون والسلام الذي يعم المكان، واستكشاف التواصل الروحي بين الأجيال الماضية والحاضرة.

ويصف أستاذ الإرشاد السياحي والتاريخ الحديث والمعاصر الدكتور إسلام عاصم، مقابر السبع ملل الواقعة في منطقة الشاطبي بالإسكندرية بأنها واحدة من أهم وأجمل المقابر في المدينة، وتعتبر أحد الكنوز الثقافية في مصر، وتمثل موروثاً تاريخياً غنياً ومتنوعاً يعكس التناغم بين الثقافات المختلفة، ويُذكّر بأهمية الحفاظ على تراثنا الثقافي.

ويشير عاصم في حديثه لـ«العربي الجديد»، إلى أن مقابر السبع ملل تضم مقابر لمشاهير من الجالية اليونانية التي عاشت في الإسكندرية لفترة طويلة، والأكثر تأثيراً في المجتمع السكندري، وأشهرهم الشاعر اليوناني قسطنطين كفافيس، الملقب بشاعر الإسكندرية قبر بوتي، وهو أول مدير للمتحف اليوناني بالمدينة، ومقبرة عائلة سلفاجو، أحد مؤسسي البنك الأهلي المصري، وكذلك مقبرة عائلة انسطاسي، وهي العائلة التي تحمل بعض شوارع الإسكندرية اسمها حتى الآن. ويقول إن من أجمل القبور فيها هو قبر ابنة أحد الأثرياء اليونانيين، وهو عبارة عن مقصورة يونانية على بابها رسم لملاك بجناحين، يضع إصبعه على شفتيه، وكأنه يدعو الزوار لالتزام الصمت، وخلفها تابوت كأنه سرير منحوت من الرخام، والمقبرة الرائعة التي يعلوها تمثال رخامي بديع للسيدة العذراء، ويرقد تحتها جثمان الثرى اليوناني جون أنطونيادس، الذي وهب قصره وحدائقه لبلدية الإسكندرية بعد وفاته.

باختصار

تقدم المقابر صورة حية للحياة التي عاشها الآلاف من أبناء الجاليات الأجنبية الذين عاشوا في المدينة الساحلية وتركوا تراثاً لا يمحوه الزمن

■■■

وزارة السياحة مُطالبة بوضع مقابر السبع ملل على الخريطة السياحية وفتحها للزيارة، خصوصاً أن عدداً كبيراً من المصريين والأجانب يتسابقون على زيارتها رغم القيود القانونية

وأخيراً

طه حسين «من بعيد»

معن البياري

صحيحٌ أن يوسف زيدان (هل من حاجةٍ إلى تعريفه؟) كان يُمازح فراس السوّاح (....؟) في الندوة إيّاها في القاهرة قبل أيام، عندما سألَه إن كان (فراس) أهمّ من طه حسين. وصحيحٌ أن الأخير (فراس وليس طه حسين طبعاً) كان يُمازح زيدان أيضاً لمّا أجاب بأن اثنيْهما أهمّ منه. ولكن لنا أن نقول إن مزحتيْهما بائختان، ولأنهما (المزحتان) كذلك، اضطرّ الكاتبان (القديران عن حقّ) إلى التعقيب بأن ما قالاه محضُ دعابة، وإنّ ما من عاقلٍ يقول إنه أهمّ من طه حسين، على ما أوضح السوّاح، وإن طه حسين أستاذ الأجيال والعميد عن حقّ، على ما قال زيدان. ولكن المزحة شديدة السماجة استخدام صاحب «الوعد الحقّ» في تسويق المشروع الذي تنهض به مؤسّسة «تكوين» التي جرى الإعلان عنها، بالتساوق مع تنظيم الندوة التي تحتفي بطه حسين بوصفه من روّاد التنوير في الثقافة العربية المعاصرة. ومن أغراض هذه المؤسّسة أن تبشّر بتنويرٍ من نوعٍ خاص، يظنّ أصحابُه أنه يلتقي مع الذي كان يقولُه كُتاب «شجرة البؤس»، وهذا ليس دقيقاً تماماً، كما أن الذي أذاعه أهل «تكوين» عنها وعن أنفسهم لا يسمّي تنويراً في الأساس، وإن بدا كذلك، ولو تسلّح بنتفٍ منه وعنْه، لسببٍ غاية في البداهة، أن التنوير ليس له أن يكون أعرج، أيّ لا يتعلّق فقط بتجديدٍ في الخطاب الديني وحدَه، ولا ينصرف إلى المحافظين والمتشدّدين من المشايخ وأصحاب الفتيا، وإنما يأخُذ، أيضا، موقفاً من المستبدّين، ولا يصمت عن جرائر هؤلاء وجرائمهم. والأساتذة الذين يتوسّلون انتفاعاً من طه حسين في عملهم هذا، في «تكوين» وغيرها، يتشاطرون بلبس القناع إياه، لعله يستُر الغرض السياسي الذي يريدون، مع الاتفاق مع كثير مما يقولونه، من بديهيّ القول أحيانا، بشأن ناس الاستبداد الديني وقوى التطرّف والإرهاب.

ثمّة مقاديرُ ظاهرةٌ من الجدّ والهزل في قصّة «تكوين» هذه، تبدّى بعضٌ منها في فائض الخفّة التي يتعاطى بها صحافيون وكتّاب متعجّلون في مواقع عُليا في المؤسّسة هذه، في غير شأنٍ سياسيٍّ وإعلاميٍّ وثقافي. ولا أقرأ في الفنجان عندما أتوقّع أن تتواتر تالياً حوادثُ ووقائعُ وأنباءٌ ينكشف في غضونها مزيدٌ من العَوار في الذي يطرحونه، إبراهيم عيسى ويوسف زيدان وإسلام البحيري وفراس السواح (و....)، عن التنوير، الأعرج كما هو منكشفٌ، المنتظِم في سياقٍ سياسيٍّ لا يعمى عنه بصرٌ ولا تغفل عنه بصيرة، واضح الوجهة في أحضان أنظمة الاستبداد والثورات المضادّة. ليسوا أول الأوائل هؤلاء في الاستقواء بطه حسين، وفي الإطناب عن حداثته وتجديده وعصريّته وحرصه على التعليم الذي يجب أن يتوفّر للناس كما الماء والهواء، فما زال الرجل يُستعاد للبحث والدرْس والتفكّر، ومن الشواهد على هذا الاحتفاليّات به في مرور 50 عاماً على وفاته في العام الماضي، والكُتب عنه التي يتوالى إصدارُها (وبعضُها رفيع). إنما أولئك، أو اثنان منهم للدقّة هما أول الأوائل في التباسُط مع مستمعيهم، عندما يُؤثران الدعابة في شأن أهميّته وأهميّتهما. و«من بعيد» (عنوان أحد كتبه)، لو أفسح واحدُنا حيّزاً عريضاً لمخيّلته لربما رجَح أن طه حسين لم يكن سيزعل من كلام كهذا، وربما يقابله بالضحك، وهو الذي كان يُؤثر النكتة، واتّصف بقسط ليس هينا من روح السخرية والتهكّم. وفي «الأيام» سيرته (البديعة الخالدة لا شك) مقاطع غير قليلة تؤشّر إلى هذا في صباه وشبابه الأول. وطريفةٌ «قفشاتُه» عن عبّاس العقّاد، وكانا في خصومة راقية (دافع العقّاد عنه في البرلمان ورفض إخراجه من الجامعة في أثناء أزمة كتاب «في الأدب الجاهلي»).

وتلك «اللسعَة» في اجتماع نخبةٍ من كتّاب مصر (محمود أمين العالم وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد القادر القط وغيرهم) معه، بشأن «عبقريات» العقّاد، لا تُخفي المكر والتهكّم معا (يتوفر الحوار المتلفز في «يوتيوب»). ويروي أنيس منصور أنه قلّد طه حسين مرّة، بحضوره، واستحسن هذا منه، بل وطلب إعادته، على الرغم من حرج منصور نفسِه.

أعطى العميد في كتابه «من بعيد» عنوان «بين الجدّ والهزل» للفصل الخامس الذي بدَت مقالاتُه الثلاث أميل إلى الجدّ. وأظنّنا في حاجة إلى الجد، وليس إلى غيره، في التعامل مع حروب التنوير التي يرفع بيارقَها ناسٌ يفهمونه على غير مقتضاه، ويتمازحون في أهميّة طه حسين في دعابةٍ كاشفة، وإنْ مضحكة.

> أظنّنا في حاجة إلى الجد، وليس غيره في التعامل مع حروب التنوير التي يرفع بيارقَها ناسٌ يفهمونه على غير مقتضاه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**